اختيار النص ..
تَقْنين التفكير في التحقيق
مراجَعة علمية نقدية

خالد فهمي
كلية الآداب – جامعة المنوفية
(مصر)

ملخَّص

هذا البحث مراجَعةٌ علميةٌ لكتاب (اختيار النَّصّ)، بوصفه عملًا مرجعيًّا يستهدف خدمة المشتغلين بعلم تحقيق النُّصوص، مستصحِبًا فلسفة الأدلَّة بما هي أعمالٌ مرجعيةٌ.

وقد توقَّف أمام تحليل الانتماءات المعرفية التي تتجاذب الكتاب، كما توقف – أيضًا – أمام فحص خطاب ما يتميز به، وخطاب منهجه ومصادره، وحاول أن يكشف عمَّا أضافه لحقله المعرفي.

الكلمات الدالَّة

[اختيار النص – التحقيق – التفكير في التحقيق – المراجعات العلمية]

- ٠ -

مدخل

حقبة جديدة .. إحياء جديد!

إنَّ فحص تاريخ ظهور النَّشْر النقديِّ أو تحقيق النصوص التراثية في الثقافة العربية المعاصرة يكشف عن عمرٍ يناهز قرنًا وربع القرن بحسب الممارسة العملية التطبيقية، ويناهز ثلاثة أرباع القرن بحسب التنظير لقواعده وضوابطه من جانب المنظِّرين العرب في التقاليد العربية المعاصِرة، ونحوًا من تسعين عامًا بحسب التنظير لقواعده وضوابطه وبعض إجراءاته، بوصفه صناعة من جانب المنظِّرين من المستشرقين المعاصرين.

وهذه المدَّة الطويلة نسبيًّا مهَّدت الطريق بصورة جيدة للانتقال إلى حقبة جديدة شعارها: «الإحياء الجديد لعلم تحقيق النصوص التراثية العربية ونقده»[١].

وكان استهداف صناعة الأدلة بوصفها عملًا مرجعيًّا له وظائفه النوعية، أمرًا غير خافٍ عند بعض الأدبيات المنظِّرة لقواعد هذا العلم في التقاليد العربية المعاصرة، وهو بعض ما يمكن استنتاجه من عمل عبد الله عسيلان (تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل)[٢]، الذي صمَّمه على رعاية سَرْد قواعد التحقيق على وَفْق منهجية المراحل وتتابعها، وهو بعض المفهوم من وظائف الدليل بما هو عمل مرجعي إرشادي.

---

(١) يمكن مراجعة خصائص التصنيف في علم تحقيق النصوص التراثية في الثقافة العربية المعاصرة، والوقوف على ملامح التجديد التي بدأت في الظهور في ما يسمى «اتجاه إعادة الإحياء»، في الدراسة التي كتبها خالد فهمي بعنوان (اتجاهات التأليف في علم تحقيق النصوص التراثية في التقاليد العربية المعاصرة: دراسة استشكافية للخرائط)، ونشرها بمجلة علوم المخطوط، ع١٦، ص٢٠٣-٢٤٩، مكتبة الإسكندرية، سنة ٢٠١٨م.

(٢) تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، عبد الله عسيلان، الرياض، ط١، سنة ١٩٩٤م، ١٤١٥هـ، ط٢، ١٤٢٦هـ، المدينة المنورة.

وهذا العمل العلمي الذي بين أيدينا ينتمي معرفيًّا إلى هذا النَّسَق أو إلى هذا النوع من الأعمال العلمية / المرجعية، كما سوف يتضح لنا عند مناقشة الانتماءات المعرفية له؛ بغية تسكينه العلمي على خريطة التصنيف المعاصرة لأدبيات تحقيق النصوص التراثية.

-١-

اختيار النص: مراجَعة الأبيات

اختيار النص، كما يقرر المؤلِّفان في فاتحة هذا الكتاب [ص٧]، «هو أول الأعمال التي يقوم بها من يرغب في التعامل مع النصّ» (نشرًا نقديًّا).

والحقيقة أنَّ أدبيَّات حقل تحقيق النصوص التراثية تنظر إلى هذا الأمر بوصفه أول المراحل من جانب، وأول التقنيات من جانب ثانٍ، وأول الإجراءات من جانب ثالث!

على أن هناك مَن أفرد هذه المسألة بنوعِ معالجةٍ، وهو استقلالُ مَرْجعه إلى استقرار التوجُّه إلى التدريب على أعمال التحقيق من جانب عدد من المؤسسات العلمية والبحثية المعاصرة وفي مقدمتها: معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، ومؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن، ومؤسسة إيسام بإستانبول، ومركز المخطوطات بمكتبة الإسكندرية... وغيرها.

وأظهرُ هذه المعالجات المستقلة:

١- اختيار النصّ اللغوي: المعايير، والتطبيقات، لخالد فهمي [حاضَر بها أول مرَّة في دورة (اختيار النص التراثي) بدار الكتب والوثائق المصرية، سنة ٢٠١٢م]، ثم [حاضر بها مرة أخرى ضمن (دورة تحقيق كتب اللغة) بمكتبة الإسكندرية ١٠-١٣ يونيو ٢٠١٩م].

٢- اختيار النصّ بين الهواية والاحتراف .. نماذج مسيئة من اختيار النصوص، لأحمد عبد الباسط [بحث مخطوط على الحاسوب، ألقي ضمن ورشة (اختيار النص التراثي) بدار الكتب الوثائق المصرية، سنة ٢٠١٢م].

٣- اختيار النص، للسعيد السيد عُبَادة، [ألقاه أول مرّة ضمن (الدورة التأسيسية العامة في تحقيق النصوص) التي أقامها معهد المخطوطات بالقاهرة في (٢٧-٣١ مارس ٢٠١٦م]، ثم [أعاد نشره في كتابه (عن تجربتي في التحقيق: بحوث ودراسات) ص٣٨٩-٣٩٧].

والحقيقة أن هذه الأعمال المستقلّة الثلاثة تأتي بصورة مجملة – بعد عمل فيصل الحفيان ومحمود مصري في المنزِلة؛ لعدة اعتبارات، هي:

أولًا: عدم تحرير بعضها لأغراض النشر؛ مما يعني أنها لم تكتمل بناء وتنظيمًا وتوثيقًا.

ثانيًا: أنها – والأمر هنا جامع لها – جاءت لأغراض التعليم، وأغراض التعليم مخالِفة لأغراض البحث والكتابة العلمية والتقنين، مما هو ثابت معلوم.

ثالثًا: أنها لم تقصد إلى استيعاب القول في مسائل القضية؛ لأسباب بعضُها راجعٌ لاختصاص واحدة منها بالنصِّ اللغوي على التعيين، واختصاص ثانية منها بفحص عدد من النماذج المسيئَة من الاختيارات وهو أمرٌ مناسبٌ جدًّا للتدريب والتعليم، وسكوت الثالث عن جملة من المسائل وعدم استيفاء القول فيها !

ومن ثَمَّ – وفي ضوء مراجَعة الأدبيات السابقة في المسألة – يبقى كتاب **(اختيار النص: تقنين التفكير في التحقيق)**، أولَ عملٍ مستقلٍّ قصد به صاحباه فحْصَ المسألة وتحرير مفهومها، وضبط معاييرها.

- ٢ -

اختيار النص .. تقنين التفكير في التحقيق

خطاب مادَّة الكتاب، وانتماؤه المعرفي، وأهميته

هذا الكتاب (اختيار النص: التفكير في تقنين التحقيق) ألَّفه فيصل الحفيان ومحمود المصري، وصدَر عن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة في يونيو ٢٠١٩م، بعد مدةٍ استغرقها إعداده للنشر؛ ذلك أن تاريخ الطبعة المدوَّنة في صفحة فهرسته الوصفية بالهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية التي تدلُّ على رقم إيداعه هو سنة ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م.

٢/١- مادة الكتاب

جاء الكتاب في فاتحة وعشَرة مباحثَ، يتضمن كل مبحث عدَّة موضوعات، نسرد في ما يلي عناوينها ومضامينها:

- **فاتحة: التحقيق من التدوين إلى التقنين**

١- **تحرير المصطلحات**؛ وفيه تحرير لـ: (النص، التفكير في التحقيق، التراث، المصطلحات الموازِية للتحقيق، مصطلحات النِّساخة، مصطلحات النُّسْخة، مصطلحات أوصاف المخطوط، خوارج النصِّ، علم المخطوط).

٢- **اختيار النص**، وعالج هذا المبحث ما يلي: (تحديد المجال المعرفي، الضوابط العامة، مسوِّغات مراعاة الاختصاص، الثقافة المساعِدة على حُسْن اختيار النص، الأسس العامة لاختيار النص، اعتبار مكانة المؤلِّف، اعتبار أهمية النص، اعتبارات أخرى، مصادر اختيار النص، مصادر معرفة النشرات السابقة).

٣- **البحث عن النُّسخ (جمعها)**، وعالَج هذا المبحث المسائل التالية: (قواعد عامة، الوصول إلى أماكن وجود النُّسخ، البحث في الكتب المفتاحية، البحث في فهارس

خزائن المخطوطات، البحث في الفهارس الشاملة، البحث في النَّشرات والدوريات التي تُعنىٰ بشؤون المخطوطات، البحث في الببليوجرافيات، البحث في قواعد البيانات الشاملة، البحث في الشابكة، سؤال أهل الاختصاص).

٤- **منازل النُّسخ ومعايير الاختيار**، وعالج المسائل التالية: (أسس التقييم، منازل (مراتب) النُّسخ، نسبية المفاضَلة بين النُّسخ، النُّسخ ذات الصلة بالمؤلِّف، النسخة المقروءة، النسخة المجازة، النسخة المقابَلة علىٰ نسخة المؤلِّف، النسخة المكتوبة في عصر المؤلِّف، النسخة المكتوبة بعد عصر المؤلِّف، ما يقوم مَقام النُّسخ حال فَقْدها).

٥- **تشجير النُّسخ وترميزها**، وعالج هذا المبحث ما يلي: (مبدأ الإفادة من التشجير، عدد النُّسخ المستعمَلة، متىٰ يتوجَّب التشجير؟ طُرق رصْد عَلاقات النسخ من خلال شجرة المخطوطات، طريقة النَّواقص المهمَّة، تتبُّع الإخلال المشترك، تتبُّع التقديم والتأخير المشترك، تتبع الأخطاء المشتركة، رموز النسخ).

٦- **تقييم النُّسخ: (فحصها)**، وتناول ما يلي: (جَدارة النص، توثيق النص في سياق تقرير جدارته بالتحقيق، القيمتان العلمية والتاريخية للنص، صلاحية النسخة، صحَّة النسخة، القيمة المادية للنسخة، دراسة الورق، دراسة المخطوط، دراسة الأحبار).

٧- **زمن النسخة**، وتناول: (قيمة النسخة المتقدِّمة، أسباب تقديم النُّسخ الأخرىٰ، كتابة تاريخ النسخة في حَرْد المتن (وقيد الفراغ من النَّسْخ)، صِيغ كتابة تاريخ النسخة، حساب الجُمَّل، حساب الكسور، حالة النسخة المهمَلة، قرائن النص، قرائن خوارج النص، قرائن الوعاء).

٨- **نسخة المؤلِّف**، وتناول فيه: (تحقيق نسخة المؤلِّف، مرجِّحات كون النسخة بخطّ المؤلِّف، مقابَلة نسخة المؤلِّف، الحاجة إلىٰ نسخ أخرىٰ مع نسخة المؤلِّف، معرفة المسوَّدة، وجود المسودة والمبيَّضة معًا، تحقيق النص علىٰ المسودة، معالجة الإبرازات المختلفة، قواعد التفاضل مع الإبرازات، تمييز الإبرازة).

٩- **المخطوط الفريد**، وعالج المسائل التالية: (المفهوم، الفريد ومصادر المؤلِّف، الفريد والمصادر التي نقلت عن المؤلِّف، الفريد والمخطوط المطْوي، الفريد والمختصَرات، الفريد والشروح، الفريد والنسخة المطبوعة، الفريد وما أُلِّف حول الموضوع، الفريد المنقول عن نسخة المؤلِّف، الفريد غير الصالح للتحقيق).

١٠- **معايير التحقيق وأولوياته**، عالج فيه (أهمية المعايير والأولويات في التحقيق، فكرة دراسة الأولويات، الأسس العامة التي تعتمد عليها في الدراسة، مصادر الدراسة، المرحلة الأولى من الدراسة: الرصْد، المرحلة الثانية من الدراسة: التقييم الأولي، نقاط تاريخ تأليف النص، نقاط مكانة المؤلِّف في العلم، نقاط أهمية النص، المرحلة الثالثة: التقييم النهائي).

٢/٢- الانتماء المعرفي للكتاب: اختيار النص

إن تحليل هذا الكتاب يكشف عن حُزْمة من الانتماءات المعرفية التي تتجاذبه، وتتصل بنَسَب إلى إفادة متلقِّيه.

وهذه الانتماءات المعرفية جميعًا أصيلة في حقِّ تَوْزينه المعرفيِّ وتَسْكينه على الخريطة المعرفية لعلوم النص والتراث معًا.

وفي ما يلي بيانٌ موجَزٌ بهذه الانتماءات المعرفية المتجاذبة:

أولًا- علم تحقيق النصوص التراثية أو النشر النقدي للنصوص: يكشف تحليل محدِّدات: واجهة الكتاب ومَتْنه وجَهازه الاصطلاحي عن الانتماء الأصيل إلى حقل علم تحقيق النصوص التراثية، وهو ما تكشف عنه المحدِّدات التالية:

(أ) خطاب عنوان الكتاب؛ إذ يظهر فيه مصطلح «التحقيق».

(ب) خطاب المقدِّمة، التي يظهر فيه نصُّ المؤلِّفَيْن على أن هذا الكتاب كتاب نَوْعي في علم التحقيق، تقول المقدمة [ص٦]: «ليس هذا كتابًا مثل كتب التحقيق

التي تُعرف»؛ مما يعني أنه كتاب من كتب التحقيق التي تبتدع نمطًا جديدًا، «إنه كتاب فاتحة لمن يرغب» [ص٧]: «في التعامل مع النصّ لنقده وإذاعته، وهي خُطْوةُ اختيارِ النصّ، التي تنتمي إلى المرحلة التي نسميها التفكير في التحقيق».

(ج) خطاب غُرَّة الكتاب؛ حيث ظهر على لسان الغِلاف الداخلي ما يحمل على تعيين هذا الانتماء المعرفي لهذا الكتاب.

(د) خطاب الجهاز الاصطلاحي الدائر في الكتاب؛ ذلك أن الكتاب يتمتع باستعمال جملة من مصطلحات تحقيق النصوص بصورة أصيلة تستهدف تحرير مفاهيمها من جانب، وتستهدف بناء هيكله وتشييد حقائقه من جانب آخر.

ثانيًا- حقل الفيلولوجيا: الكتاب من جهة ثانية صالح لأن ينتمي إلى الفيلولوجيا (فقه اللغة)، بوصفها علمًا يشتغل على النصوص القديمة، وأساليبها.

وثمة مباحث في الكتاب تقع في القلب من اهتمامات هذا الحقل المعرفي بامتياز.

ثالثًا- حقل الكوديكولوجيا (علم المخطوط): من جهة ثالثة الكتاب صالح للانتماء إلى الكوديكولوجيا، أو (علم المخطوط)، ذلك العلم الذي يتوقف بالأساس أمام الوعاء المادي الحامل للنصوص.

وثمة مباحث في الكتاب تقع في الصَّميم من اهتمامات هذا الحقل المعرفي ومشاغله، وهي تلك المباحث التي تسهم في تقييم النُّسخ الخطِّية وتقدير عمرها، اعتمادًا على ما سماه الكتاب في بعض مباحثه: (قرائن الوعاء).

رابعًا- حقل فهرست المخطوطات: بالإمكان أن ندرج هذا الكتاب ضمن حقل فهرسة المخطوطات، بوصفه كتابًا يتضمن حُزْمة من المعلومات المهمَّة التي تعين على ضبط عمل مفهرسي المخطوطات.

خامسًا- حقل أنساق التأليف والعَلاقات بين النصوص: انشغل الكتاب - في غير مسألة - بما يحمل على اعتباره عملًا تبعيًّا اعتنى ببعض ما ينحو به نحو الانتماء المعرفي لحقل أنساق التأليف وعلاقات التأليف مما هو ترجمة لما يعرِّفه كمال نبهان في كتابه (عبقرية التأليف العربي) بـ«الببليوجرافيا التكوينية».

سادسًا- حقل تصنيف العلوم وموضوعاتها: يعرِّج الكتاب في بعض مباحثه على ما يشبه تبنيًا لنمطٍ خاصٍّ من تصنيف العلوم في دائرة الاشتغال التراثي في الحضارة العربية. وتحليلُ ما كتبه المؤلِّفان الفاضلان في مباحث تعيين المجال المعرفي، والثقافة المساعدة على تحسين الاختيار = ما يرشح لهذا القرار بانتماء هذا الكتاب معرفيًّا إلى حقل تصنيف العلوم وموضوعاتها في التراث العربي؛ ذلك أنه بالإضافة إلى ما تَقرَّر، هو - في ما يبدو - مرجعٌ بالمعنى الحقيقي في مصادر موضوعات العلوم عند المسلمين، يعززها ويحسِّن استيعاب الإشارةُ إليها.

سابعًا- حقل تجارة المخطوطات: إنَّ المباحث التي توجهت إلى النقاط العلمية المساعدة على تقييم النُّسخ / المخطوطات من جانب، والمسائل التي أفردها الكتاب لفحص النسخ وتقويمها من جانب آخر على الأقل = لهي من المسائل التي يُعنى بها حقلُ دراسات تجارة المخطوطات.

ومراجعة كتاب (تجارة المخطوطات وطرق فحصها وتقييمها)[1]، في ما خصَّصه من حديث عن فحص المخطوطات، يكشف عن صدق تعيين هذا الانتماء المعرفي.

والحقيقة أن التلبُّث الملي أمام تشقيق القول في الحقول المعرفية التي يمكن رفع لافتاتها على هذا الكتاب، يمكنه أن يقود إلى تطويل هذه القائمة الاجتماعية للانتماءات المعرفية التي يصحُّ انضواء هذا العمل / الفاتحة تحتها.

(١) تجارة المخطوطات وطرق فحصها وتقييمها ، عابد سليمان المشوخي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص١٧٣-١٧٧.

٢/٣- تعيين النوع أو النَّسَق التأليفي للكتاب

لا يجد قارئُ هذا الكتاب أو مستعمله كبير عَناءٍ في سبيل تعيين نوعه أو نَسَقه التأليفي؛ فهو كتاب من نمط جديد؛ لعدَّة اعتبارات:

أولًا: هو كتاب من نمط جديد في وعْيه بالغاية التي يتغيَّاها ويستهدف رعايتها؛ فهو كتاب ليس كمثل كتب التحقيق المتداولة [ص٦].

ثانيًا: وهو كتاب إحيائي / يستهدف إعادة إحياء علم تحقيق النصوص على منوالٍ جديدٍ يرعى «المراحل»، وضبطها مفاهيميًّا، وتشقيق القول في تقنياتها، وإجراءاتها وأدواتها.

وهو بذلك ينضوي - مبدئيًّا لحين اكتمال بقية حَلْقاته - ضمن ما أسميه «الإحياء الجزئي لعلم تحقيق النصوص التراثية» في التقاليد التنظيرية العربية المعاصرة لقواعد هذا العلم.

ثالثًا: ثم هو كتاب من نمط جديد في تنظيمه، ولغته المنضبطة، ومسائله الإيضاحية، وخِطاطاته الإدراكية أو الذهنية.

وبالنظر إلى علم المكتبات وتصنيف الكتب، ينتمي الكتاب إلى حقل «الكتب الأدلة»، يقول المؤلِّفان: [ص٦]: «إن كتابنا هذا أشبهُ ما يكون بالدليل ترجع إليه؛ ليردَّ على سؤال، أو استفسار عندك، أو ليعطيك فكرة قريبة، فيجمع لك شوارد مسألة واحدة في مكان واحد».

والدليل - بما هو عملٌ مرجعيٌّ - يتجاوز حدود التصور المعروفة للمرجع بوصفه كتابًا جامعًا لمجموعة من المعلومات إلى حدود أخرى، هو مساعَدة مستعمِله المتوقع وتحقيق خدمة إرشادية له، ترعى التَّراتُبَ المرْحليَّ للعمليات المقصودة.

٢/٤- اختيار النص: خطاب الأهمية

إنَّ قراءة هذا الكتاب بغيةَ تعيين أهميته، لا بد أن تستصحب المحدِّدات الصلبة التالية:

أولًا: الإطار المعرفي المصاحِب للكتاب بوصفه عملًا تجديديًّا / إحيائيًّا لبعض قواعد التحقيق.

ثانيًا: الإطار التأليفي للكتاب بوصفه عملًا مرجعيًّا / أو دليلًا ينظِّم ويرتِّب ويرشد ويعين على ضبط المسألة المعرفية محلِّ الاشتغال بها.

ثالثًا: نمط الكتابة الحاكم للكتاب، لغة وموضحاتٍ بصريةً.

رابعًا: منزلة مؤلِّفَيْه في الحقل المعرفي؛ سواء على مستوى التأليف والتدريس والتدريب والاشتغال التطبيقي والمراجَعة...

خامسًا: المؤسسة التي صدَر عنها العمل بوصفها - ووفقًا لتاريخها المؤسس = أكبر مؤسسة منوط بها الاشتغال بعلوم المخطوط العربي وحفظه، وتيسير دراسته... إلخ.

سادسًا: انحدار العمل عن رؤيةٍ كليَّة مستوعِبة تطمح إلى صناعة (دستور) جامع لقواعد علم تحقيق النصوص، يستصحب فلسفة الأدلة الإرشادية، ومراحل العمل في الميدان التطبيقي.

- ٣ -

اختيار النص: قراءة في خطاب المنهجية والمصادر

٣/١- خطاب المنهجية

يكشف تحليل هذا الكتاب من منظور الميثودولوجي / نظرية المناهج، عن جملة من الحسنات التي ترقى بمنزلة الكتاب ووَزْنِه المعرفي.

وفي ما يلي بيانٌ لأهمِّ خصائص المنهجية التي حرَص عليها المؤلِّفان:

أولًا- العناية بالبدء بتحرير المفاهيم: لقد باتتِ المنهجية الحديثة حريصةً على العطف على المتلقِّي، من طريق افتتاح الأعمال العلمية، ولا سيما التأسيسية أو الضابطة لمسألةٍ ما في حقل معرفي ما - كما هو الحال هنا - بمبحث تأسيسي يرعى تحرير المفاهيم التي ينهض عليها العمل العلمي، وهو ما نرى مصداقًا له في المبحث الذي حمل عنوانه: تحرير المصطلحات [ص٩-٥٢].

وقد حرَّر الكتاب جملةً المفاهيم الخاصة بالمصطلحات التالية: (التراث، النص، التفكير في التحقيق، التحقيق، التحرير، القراءة، الضبط، التصحيح، المعالَجة، المقابَلة، مصطلحات النِّساخة، مصطلحات النسخة، مصطلحات أوصاف المخطوط، خوارج النص، علم المخطوطات).

والحقيقة أن هذا المفتَتح يمثل انعكاسًا لعملِ عقلِ المؤلِّفَيْن المنهجي بصورة ممتازة، تمنع من تسرُّب مادة الخلاف حول مادة الكتاب ومضمون مسائله.

والحقيقة - كذلك - تقرر أن هذا الافتتاح هو تعميق واستقرار لما ظهر مع عمل عبد السلام هارون التأسيسي، الذي أفرد فيه كشافًا لمصطلحات هذا الحقل المعرفي.

ثانيًا- الترابط المنطقي: يكشف تنظيم مباحث الكتاب - من المنظور المنهجي - نمطًا من التسلسل المنطقي الذي يرعى التدرُّج من العموم إلى الخصوص، وهو أمر يحقق، بشرط الترابط، انسجامًا من جانب، ويستجيب - عن وعي - لطبيعة النَّسَق التأليفي الذي توخَّاه المؤلِّفان عندما انطلقا في بناء كتابهما من استصحاب نسق «الدليل»، بوصفه عملًا مرجعيًّا يستهدف إرشاد المستعملين بالأساس.

ثالثًا- إرادة التفهيم: تعكس الإجراءات والأدوات المطبَّقة في بناء الكتاب رغبة مؤلِّفَيْه في تحقيق التفهيم، والإفراط في البيانية أو الإبلاغية، وهو الأمر الذي تحقق من خلال ما يلي:

(أ) رعاية التنظيم والتسلسل والتفريع في عرض المعلومات.

(ب) استعمال الموضِحات البصَرية المتمثلة في الخرائط الذهنية، بحسب المؤلِّفَيْن في المقدمة [ص٨].

(ج) توظيف الهوامش السُّفْلية (Footnotes)، بصورة ممتازة جعلت منها جزءًا شديد التَّعالُق بالمتن، ونهضت بحُزْمة من الوظائف التي تتجاوز إطار التوثيق إلى نطاق: المعرفة؛ التثقيف، وتحقيق الأمان والموثوقية المعرفية للقارئ.

وإرادة التفهيم سمةٌ منهجيةٌ قديمةٌ جدًّا في آداب التأليف المولودة من رحم الخصائص العامة للشريعة الإسلامية[1]، التي تقصد إلى الإفهام كما يقرر الشاطبي في كلامه عن تأسيس المقاصد.

رابعًا- الحرص على التوثيق: إن أول ما يثير قارئ هذا الكتاب هو ذلك الحرصُ الظاهرُ على الأمانة العلمية، وهي السِّمة المنهجية التي تتجلى من تحليل الهوامش السفلية من جانب، ومن تحليل قائمة المراجع من جانب آخر؛ وهو ما يكشف عن توفُّر رعاية وظيفة الموثوقية فيما يحيط بالاستشهادات المرجعية، وهو ما قررنا أنه أمر يتجاوز حدود التوثيق إلى تحقيق وظائف أخرى معرفية ونفسية لدى مستعملي هذا السِّفر المؤسِّس.

وسوف تقف هذه المراجعة أمام خطاب المصادر في مطلبٍ مستقلٍّ؛ نظرًا لأهميته البالغة في هذا الأعمال التأسيسية.

إن هذه السِّمات الأربعة تكشف عن منهجية منضبطة في تأليف هذا العمل، وهي منهجية تسترفد أصولها وتطبيقاتها من المستقرِّ من قواعد البحث المعاصرة من جانبٍ، وعن رعاية منظور المستعمِل والتيسير عليه من جانبٍ آخرَ.

٣/٢- خطاب مصادر الكتاب

من الأمور المهمَّة في بحوث المراجَعات العلمية - بوصفها أعمالًا علمية مكتمِلة

---

(١) انظر: الموافقات للشاطبي، تحقيق محمد الخضر حسين، دار الحديث، القاهرة، ١٤٤١هـ، ٢/٢.

ومركَّبة، على ما يقرِّر حشمت قاسم في (**المراجعات العلمية ودورها في تحويل المعلومات إلى معرفة**)[(١)] - التوقفُ أمام خطاب المصادر، وتحليل وظائفها.

١/٢/٣- خطاب تحليل المصادر

إنَّ تحليل خطاب المصادر في هذا الكتاب - في ضوء السِّمات المنهجية التي اتبعها المؤلِّفان في بنائه - يكشف عن وعْي بفكرة الأصالة اللازمة بوصفها شرطًا منهجيًّا في توظيف المصادر في الأعمال العلمية.

وقد أفرز تحليل خطاب المصادر عن وعْي الكتاب بأربعة أصناف جامعة هي:

أولًا- مصادر المعجميَّة المختصَّة: حرَص المؤلِّفان - رعايةً للمنهجية - على افتتاح الكتاب بتحرير المصطلحات، وهو ما أنتج وعيهما بحُزْمة مصادر المعجمية المختصة بمصطلحات علم المخطوط، وعلم التحقيق، على ما ظهر من استصحابهما لـ(معجم مصطلحات الكتاب العربي المخطوط)، لأحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي، و(تقاليد المخطوط العربي)، لآدم جاسك، فضلًا عن بعض المعجمات التراثية اللغوية والاصطلاحية؛ كـ(التعريفات)، للسيد الشريف الجرجاني، و(الصَّحاح)، للجوهري، و(المفردات في غريب القرآن)، للراغب الأصفهاني، و(مقاييس اللغة)، لابن فارس اللغوي، وغيرها.

ثانيًا- مصادر علم تحقيق النصوص التراثية في العصر الحديث: يكشف تحليل مصادر الكتاب عن استيعاب شبه تامٍّ لأدبيات علم تحقيق النصوص التراثية في العصر الحديث؛ إنْ في جانب التقاليد الاستشراقية، وإنْ في جانب التقاليد العربية؛ إذ ظهر حضورٌ حقيقيٌّ مؤثِّرٌ لأعمال براجستراسر، وسوفاجيه، وبلَّاشير وبول ماس، وآدم جاسك، وفرانسوا ديروش، ولانجلوا، وسنيوبوس - من أصحاب الأدبيات في التقاليد

(١) مجلة دراسات عربية في المكتبات والمعلومات، حشمت قاسم، دار غريب، القاهرة، مج٣، ع٢، مايو ١٩٩٨م، ص١١.

الاستشراقية، كما ظهر حضورٌ حقيقيٌّ مؤثرٌ وفاعلٌ لأعمال أحمد شوقي بنبين، ومصطفى طوبي، ويحيى الجبوري، وعبد السلام هارون، وصلاح الدين المنجد، وعبد الستار الحلوجي، وعبد المجيد دياب، وقاسم السامرائي، ورمضان عبد التواب، وعبد الله عُسَيْلان، وإياد خالد الطباع، وفخر الدين قَباوة، وغيرهم.

ثالثًا- مصادر المجال التراثية: كما عرف المؤلِّفان طائفة من المصادر التراثية التي تعدُّ أصلًا لكثير من المفاهيم والمسائل الواقعة في الصميم من علم التحقيق في تجلياته المعاصرة، وهذه الطائفة أسهمت في أمرين بارزين، هما:

(أ) تعميق أفكار الكتاب من طريق خدمة أصولها التراثية.

(ب) تأصيل عدد من استعمالات مفردات الجهاز الاصطلاحي، بتجذير حضورها في المجال التُّراثي العربي ذي الأصول العريقة في خدمة معالجة النصوص، ونقدها.

٢/٢/٣- خطابُ نَقْد المصادر

يكشف تحليل المصادر من منظور نقدي عن غيابٍ - ربما يكون له ما يسوِّغه - لعدد من المصادر التي يثير غيابُها عدَّةَ تساؤلات.

وفي ما يلي أمثلة على هذا الغياب، ولا سيما أن ثمَّة مباحثَ كانت تستدعي هذا الحضورَ، من مثل:

(أ) كتاب (إبرازات الكتب ومناهج تحقيقها)، لبشار عواد، [مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية، مصر، ٢٠١٨م].

(ب) كتاب (تحقيق النُّسخة الفريدة ... مأزِق التعامل مع النصِّ نظرًا وتطبيقًا)، ليوسفَ السِّنَّاري [جامعة الملك سعود، إصدارات، كرسي عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها (٤٣)، الرياض ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م].

(ج) كتاب (عن تجربتي في التحقيق... بحوث ودراسات)، للسعيد السيد عُبَادة، [مبحث اختيار النص، ص٣٨٩-٣٩٧، ومبحث منازل النسخ، ص٣٩٨-٤٥٤، مجلس

حكماء المسلمين، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م].

(د) كتاب (مجموع رسائل في التحقيق وتصحيح النصوص)، لعبد الرحمٰن بن يحيىٰ المعلِّمي اليماني [تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٣٤هـ].

(هـ) كتاب (المرجع في علم المخطوط)، لآدم جاسك، [ترجمة مراد تدغوت، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠١٧م]

وأهمية هذه العيِّنة من المصادر ترجع لتَعالُقها المباشر والمهمِّ مع عدد كبير من المفاهيم الدائرة في الكتاب مشْغَلة هذه المراجعة من جانب، وعدد كبير من مسائله العلمية من جانب آخر.

ومن جانب آخر، فإن تحليل خطاب مصادر الكتاب يكشف عن غياب عدد من معلومات التوثيق، تمثلت فيما يلي:

(أ) غياب تواريخ النشر لبعض مراجع القائمة، ومن أمثلة ذلك: غياب تاريخ نشر كتاب: ابن المعتز، طبقات الشعراء وهو (سنة ١٩٥٦م) للطبعة الأولى، و١٩٨١م للطبعة المعتمَدة من المؤلِّفَيْن، وغياب تاريخ صدور مجالس ثعلب، بتحقيق عبد السلام هارون وهو (سنة ١٩٤٨م)، وهو تاريخ صدور الطبعة الأولى، ثم ١٩٨٠م ثم ١٩٨٧م للطبعة الخامسة الباقية المتداوَلة الآن.

(ب) خَلَل في بيان دور النشر لبعض المراجع، ومن ذلك أن كتاب (تحقيق التراث العربي: منهجه وتطوره) لعبد المجيد دياب صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، ودار المعارف، مصر، سنة ١٩٩٣م، والصواب أن الطبعة الأولى منه صدرت عن المركز العربي للصحافة - أهلًا، القاهرة ١٩٨٣م، والطبعة الثانية صدرت عن دار المعارف سنة ١٩٩٣م.

(ج) نقص في عنوانات بعض المصادر، من مثل: عنوان كتاب أحمد شوقي بنبين، ومصطفى طوبي (مصطلحات الكتاب العربي المخطوط)، فقد نقص من عنوانه: «قاموس كوديكولوجي».

(د) نقص في بيـانات مؤلِّفي بعض المراجع أو مراجعيه، من مثـل: نقص النصِّ على تقديم عبد الستار الحلوجي لكتاب برجستراسر (أصول نقد النصوص ونشر الكتب)، الذي أعدَّه محمد حمدي البكري، وصدر عن دار المريخ بالرياض سنة ١٩٨١م.

(هـ) نقص في ذكر مدن طباعة بعض المصـادر، من مثل نقص النصِّ على مدينـة إستانبول بتركيا ضمن بيانات كتاب (كشف الظنون)، لحاجي خليفة.

(و) التجاوز في استعمال طبعات بعض الكتب مع صدور طبعات أكثر علمية، مثل: الفهرست للنديم بتحقيق إبراهيم رمضان، مع وجود طبعات أخرى أكثر علمية، منها طبعة فلوجل، ورضا تجدد، وأيمن فؤاد سيد.

– ٤ –

اختيار النص: قراءة في خطاب الوظائف المتوقَّع

يمثل صدور هذا الكتاب – باعترافه هو [ص٧] – «فاتحة كتاب في أجزاء»، ومن البدَهي أن يكون الموضوع القائم هو أول الأعمال التي يقوم بها من يرغب في التعامل مع النصِّ لنقده وإذاعته (أي: تحقيقه ونشره)، وهي خطوة اختيار النصِّ التي تنتمي إلى المرحلة التي نسميها «التفكير في التحقيق».

وهذا الإعلان يفتح الباب أمام تعيين زمرة من الوظائف المظنونة، هي:

أولًا: مراجعة القول في ترسيم الخريطة المعرفية لعلم تحقيق النصوص أو ما سمَّتْه مقدِّمة هذا الكتاب باسم (تحديد المجال المعرفي).

ثانيًا: الانتقال «من مرحلة الاجترار لما سبق»، بوصف ذلك هو الوصف الغالب لمجمل النشاط التأليفي في حقل التنظير لعلم تحقيق النصوص، إلى مرحلة تتَّسم بما يلي:

(أ) ضبط المراحل العملية.

(ب) الانسجام المعرفي.

(ج) استصحاب إرادة الإرشاد للمستعمل، وهو حاقٌ ما ينهض به «الدليل» بوصفه عملًا مرجعيًّا مساعدًا.

(د) استيعاب الشروط والأوصاف المنضوية تحت كلِّ مرحلة، أو تقنية، أو إجراء في حقل تحقيق النصوص.

ثالثًا: الإسهام في تطوير أعمال التحقيق التي تصدر عن الأجيال التالية التي تحسن تمثُّل مادة هذا الكتاب بعد اكتمال أجزائه.

رابعًا: الإسهام في استقرار التدريب على أعمال تحقيق النصوص بعد استقرار مراحله بصورة عملية.

خامسًا: انتشار الضبط المفاهيمي للمصطلحات التي يكثر في قطاع كبير منها التداخلُ، والتباينُ، وهو بعض ما تجلَّى في ما صنعه هذا الكتاب في المبحث الأول في مطلبِ جَرْده للمصطلحات المتوازية لمصطلح «التحقيق».

الخاتمة

عالجت هذه المراجعة العلمية التلبُّث أمام كتاب جديد في مادته، ونَسَقه التأليفي، وغاياته التي يتوخَّاها؛ كشفًا عن خصائصه وموائزه.

وقد جاءت هذه المراجعة في: مدخل وأربعة مطالب، استهدفت الكشف عن وزْنه المعرفي المهمِّ في حقل أدبيات التنظير لعلم تحقيق النصوص التراثية.

وقد كشفت هذه المراجعة عن جملة النتائج التالية:

أولًا: صدور الكتاب عن منهجية منضبطة ترعى تحرير المفاهيم، وترعى الترابط المنطقيَّ بين بحوثه، مع رعاية واضحة للتسلسل والانسجام.

ثانيًا: صدوره عن منهجية ترعى منظور المستعمِل، وتستصحب حُزْمةً من الإجراءات والأدوات البحثية التي ولدت من رحِم الموضِحات البصَرية .

ثالثًا: الصُّدور عن استيعاب شبه تامٍّ للمصادر الأصيلة التي ترعىٰ تحرير المفاهيم، وترعىٰ مسائل القضية محلِّ اشتغال الكتاب.

رابعًا: الصُّدور عن جملة من الوظائف الحاكمة في تأليف الكتاب، هي:

(أ) إرادة تحقيق وظيفة الإرشاد للمستعمِل، وهو سرُّ اختيار بناء الكتاب علىٰ وَفْقِ منظور «الدليل» بما هو عملٌ مرجعيٌّ.

(ب) الحرص علىٰ الوضوح والبيان؛ وهو سرُّ توظيف الخرائط الذهنية.

(ج) الحرص علىٰ تحقيق أعلىٰ درجات الموثوقية، وهو أمرٌ ظاهرٌ جدًّا في الهوامش السُّفلية وبنائها.

(د) الحرص علىٰ تحقيق الوظيفة المعرفية والتوثيقية للمستعمِل، بما يتجلىٰ في الحرص علىٰ استيعاب الإشارة إلىٰ المراجع في الهوامش والفاتحة النهائية لها.



المصادر والمراجع

- إبرازات الكتب ومناهج تحقيقها، لبشار عواد، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية، مصر، ٢٠١٨م.
- تجارة المخطوطات وطرق فحصها وتقييمها، لعابد سليمان المشوخي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- تحقيق المخطوطات الواقع والنهج الأمثل، لعبد الله عسيلان، الرياض، ط١، ١٩٩٤م، ١٤١٥هـ، ط٢، ١٤٢٦هـ المدينة المنورة.
- تحقيق النسخة الفريدة ... مأزق التعامل مع النص نظرًا وتطبيقًا، ليوسف السناري، جامعة الملك سعود، إصدارات، كرسي عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها (٤٣)، الرياض ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.
- عن تجربتي في التحقيق ... بحوث ودراسات، للسعيد السيد عبادة، مجلس حكماء المسلمين، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.
- مجموع رسائل في التحقيق وتصحيح النصوص، لعبد الرحمٰن بن يحيىٰ المعلمي اليماني، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٣٤هـ.
- المراجعات العلمية ودورها في تحويل المعلومات إلى معرفة، لحشمت قاسم، مجلة دراسات عربية في المكتبات والمعلومات، دار غريب، القاهرة، مج٢، ع٢، مايو ١٩٩٨م.
- المرجع في علم المخطوط، لآدم جاسك، ترجمة مراد تدغوت، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠١٧م.
- الموافقات، للشاطبي، تحقيق محمد الخضر حسين، دار الحديث، القاهرة، ١٤٤١هـ.

